اهتماماتى ودراساتى العلمية

لما تركت مصر إلى فرنسا فى سنة ١٩٠٧ كان « التطور » من مركباتى الذهنية البارزة ، بل المركب الأول . حتى إنى حين هبطت باريس جمعت طائفة من الكتب التى تعالج هذا الموضوع ، ولكنى لم أستطع فهمها وقتئذ ؛ لأنى أسأت الاختيار فلم أقتن الكتب الابتدائية أو بالأحرى لم أجدها . فلما قصدت إلى لندن وجدت العشرات من هذه الكتب الابتدائية . وكانت جمعية « الثعلبين » تنشرها وتبيعها بأثمان التراب بسعر ٢٥ مليما لكل كتاب . فأكببت عليها فى دراسة مثابرة ، مع استخراج الخلاصات وكتابة التعليقات . وقرأت كتاب دارو ين « أصل الأنواع » . وليس فى هذا الكتاب شىء يشق على الفهم . ولكنه يحتاج إلى التأمل الكثير . ودارو ين بعيد كل البعد عن التعبير المسرحى ؛ إذ هو متواضع معتدل يكتب فى حذر كأنه يخشى أن يؤمن القارئ بكل ما يقول . وهو الضد لنيتشه فى الأسلوب ؛ فان نيتشه نارى سماوى ، أما دارو ين فأرضى طينى . وأسلوب نيتشه عاطفى ذاتى حتى حين يهتدى إلى الحقائق الموضوعية . أما دارو ين فيكتب عن وجدان وتعقل ؛ حتى لتحس أنه ينفض عن نفسه عاطفته وذاتيته كما ينفض أحدنا الغبار عن شخصه .

وليس شك أن حبى لدارو ين وتحيزى لنظرية التطور ، منذ نشأتى الثقافية ، قد تركا أثرهما فى أسلوبى الكتابى . فقد قيل إن الأسلوب يدل على الجانب الأخلاقى للمؤلف بل يكشف عنه . أى يدل على الاتجاه التفكيرى و إيثار بعض القيم على بعض . وأنا أوثر أسلوب دارو ين : أسلوب المنطق الصارم والحذر والاعتدال على أى أسلوب آخر يوصف بأنه « أدبى » . وكثيراً ما وصفنى الكتّاب فى مصر بأنى لست « أديباً » ؛ لأنهم لايجدون عندى تلك الزخارف والتزاويق المألوفة فى غيرى من الكتاب . ومع ذلك فانى لا أنكر سحر الأسلوب العاطفى . ولكنى إذا كنت ألتذ السحر أحياناً وأستمتع بما فيه من مهارة

فانى أوثر عليه أسلوب التعقل والوجدان . وأذكر أنى حين قرأت « من الأعماق » تأليف أوسكار وايلد أعجبت بسحره . حتى إنى عندما بلغت الصفحة الأخيرة عدت فوراً إلى الصفحة الأولى أقرؤه ثانية كأنى أستعيد لحناً جميلا وأنغاماً رائعة . ولكنه لم يترك فى رأسى مركبات ذهنية كتلك التى تركها « أصل الأنواع » لدارو ين . فقد غيرنى دارو ين . أما أوسكار وايلد وجون روسكين وكارليل من الكتاب الذاتيين فقد نسيتهم ؛ لأنهم جميعاً بعيدون عن الحقائق الموضوعية . وحين أقرؤهم الآن أشعر أنهم يخطبون أو يصرخون أو يتفصحون . فأجد اللذة العابرة فى أسلوبهم ولكنى أحس أنهم ليسوا مفكرين أساسيين . والمفكر الأساسى عندى هو دارو ين الذى يتحدث فى اعتدال وحذر . وأسلوبه هو الأسلوب الرصين . وأقرب الناس إليه فى هذا الأسلوب هو برنارد شو . وقد سبق أن قلت إن المقاييس للكاتب أن نعرف مقدار ما تركه لنا من المركبات الذهنية ؛ لأنه على قدر هذه المركبات يكون تفكيره محورياً أو بذرياً ، أى إننا لا نأخذ منه المعرفة الجامدة فقط ، بل نأخذ المعرفة الناسية التى تنمو وتتشعع فى الخلايا الرمادية من المخ فتتركنا ونحن نفكر ونشتبك فى اشتباكات جديدة لاتفتأ تنبهنا إلى توسع وتعمق فاينا ع . ومنذ ١٩٠٨ حين قرأت «أصل الأنواع» وأنا فى هذا التوسع والتعمق . فقد درست البيولوجية والجيولوجية بل سيكولوجية فرويد بحافز من دارو ين . كما أن دارو ين كان السبيل إلى التعرف إلى هربرت سبنسر . وكان دارو ين يصفه بأنه « فيلسوف التطور » . والحق أن سبنسر هو المسئول عن تعميم هذه النظرية ونقلها إلى المجتمع ، ولا عبرة بأنه ارتكب أخطاء كثيرة فى التفاصيل . فان الأخطاء أحياناً قد تكون منيرة مثل الاصابات ؛ لأنها تفتح كوة على ناحية لم تكن مفتوحة من قبل . فاذا كان الناظر إليها قد أخطأ الرؤية ، فان فضله لا يزال عظيما لأنه فتح الكوة . وهذا هو ما أراه فى كثير من المفكرين مثل فرويد وسبنسر بل دارو ين نفسه . فقد نبهنا فرويد فى خطئه عن «مركب أوديب» . كما نبهنا سبنسر فى خطئه عن وراثة الصفات المكتسبة ، وكذلك نبهنا داروين فى خطئه عن تنازع البقاء . وكل هذه الأخطاء كانت كوات جعلتنا نفكر ونبحث ؛ لأنها فتحت لنا آفاقا جديدة . وقد انتقلنا بها من الميدان البيولوجى إلى ميادين الاجتماع والدين والاقتصاد .

ومن الكتاب البذريين الأساسيين الذين تأثرت بهم ، ومازالت المركبات

الذهنية التى خلفوها فى خلاياى المخية قائمة بل نامية ، كارل ماركس . فقد وصلت إليه عن استعراض خده من كتّاب « الانفرادية » الذين يقولون بالمباراة الاقتصادية مثل هربرت سبنسر ، وخرجت منه على احترام له واحتقار لهربرت سبنسر . ولكن هذا الاحتقار ، فى هذه النقطة المعينة ، لا ينقص من إكبارى للقوة التفكيرية عند سبنسر . والحق أنها قوة عظيمة جدا ؛ فان نظرته شاملة وهو فيلسوف أكثر مما هو عالم ، ولكنه فيلسوف بعيد عن الغيبيات . وقد احترف هذا الرجل التفكير احترافاً . حتى ليسأم الانسان حين يقرؤه ويكاد يسائل : لماذا هذا الجد ؟ لماذا يجهد ويعرق ؟ ألا يفكر فى إجازة يستريح فيها ؟

والحق أنه لم يفكر فى إجازة . وقد أصيب لهذا السبب بانهيار عقلى تألم منه نحو سنتين . وحتى بعد ذلك كان أحياناً يطلب من ضيوفه ألا يتكلموا بل أن يبقوا فى ضيافته أو رفقته صامتين . . .

وفى هذه السنين كدنا ننسى هربرت سبنسر . ولكن كارل ماركس يزداد بمرور السنين قوة بل حياة ؛ فان نظرياته تحيا فى كل مكان فى العالم . والأزمة العالمية الحاضرة هى أزمة الصراع المنتظر ، أو الوفاق المحتمل ، بين الماركسيين دعاة الانتاج التعاونى وبين الديمقراطيين دعاة المباراة الاقتصادية . ولذلك لا يمكن لأحداً أن يصف نفسه بأنه مثقف إذا كان يجهل الماركسية ولو كان يكرهها .

وقيمة الماركسية فى فهم السياسة العالمية والتطورات الاجتماعية والأخلاقية الحاضرة كبيرة جدا . ولكن لها قيمة أخرى فى فهم التطورات التاريخية . والمتعمق فى دراسة ماركس لا يتمالك من الشعور بأنه هو ، لا فرويد ، الأساس الصحيح للفهم السيكلوجى . فان ماركس أثبت أن العواطف الاجتماعية ، أى التى نكتسبها من المجتمع ، أكبر قيمة وأبعث على التغير والتطور وأثبت فى كياننا مما نسميه العواطف الطبيعية . ولذلك لا يقتصر فضل ماركس على أنه جعل الاقتصاد علماً ، لأن الحقيقة أنه جعل كذلك الاجتماع والسيكلوجية علوماً . ولا يستطيع أحد أن يفهم هذه الثلاثة على حقيقتها الفهم الموضوعى إلا إذا كان ماركسيًّا . .

داروين وماركس ، كلاهما قد غرس فى رأسى مركبات ذهنية ، وجعل أنظر إلى الدنيا وإلى الأحياء فى استعراض علمى وتحليل اقتصادى وسيكلوجى . وعندما

أستبطن إحساسى الدينى أجد أن بؤرة هذا الاحساس هو « التطور » وهذا الاحساس الدينى هو فهم وممارسة . فانى أفهم أننا وجميع الأحياء أسرة واحدة فى ذلك النبات ، وأن الخلية الأولى التى نبض بها طين السواحل قبل نحو ألف مليون سنة هى عنصرنا الأول ، وأننا مازلنا ننبض ونتغير فى تجارب لاتنقطع . وأن سُنتنا هى لذلك سنة التغير ، وجريمتنا هى لذلك جريمةالجمود . ولكن إلى جنب هذا الفهم الدينى يجب أن «نمارس» ممارسة دينية باحترام الحياة أيًّا كانت والتعرف إلى أشكالها وحمايتها من الأمين المستهترين بالطبيعة . هذه الطبيعة التى تكتسب فى ذهنى قداسة كلما فكرت فى غابات أفريقيا أو الهند وما تحوى من تحف الحياة ، أو كلما فكرت فى غياهب المحيط الهادى أو الأطلنطى أو المحيطين القطبيين وما بهما من أحياء يحاول التجاريون ، فى غير شرف، أن يبيدوها بالالحاح عليها فى الصيد .

وكذلك لا أقرأ الجريدة اليومية ولا أسمع عن خبر سياسى أو مشروع لقانون جديد إلا وأنظر إليه بالاستغراض الماركسى من حيث دلالته على النوازع المختفية التى دفعت إليه ، فى حين أن الذى يجهل الماركسية يتطوح ويتخبط فى تقديرات « شخصية » للممثلين السياسيين أو الحزبيين . مع أن هؤلاء ليسوا سوى أدوات تأخذ مكانها فى دورة الآلة الكبرى ، فى حركة المجتمع الاقتصادى . ولذلك أيضاً أصبحت فكرة « البطل » فى التاريخ من الفكرات التى كانت تتقهقر فى وجدانى كلما تقدمت فى التحليل الاقتصادى . ولكن يجب أن أعترف أنها مع تقهقرها لم تنمح ، وأنه لا يزال للشخصية قيمتها فى تفكيرى .

وفرق عظيم ، بل عظيم جدا ، بين شخص قد قرأ ماركس ودرس التفسير الاقتصادى للتاريخ ، وبين آخر يجهله . لأن الأول يجد فى أخبار الجريدة اليومية من المعنى والمغزى ما لا يجده الثانى الذى يحسب أن الحوادث التافهة والخطيرة ، والاتجاهات السياسية، والتطوروالثورة ، والحرب والسلام ، كلها أشياء تجرى جزافاً .

ويأتى فرويد ، بعد داروين وماركس ، فى إيجاد [illegible] الذهنية التى عملت فى توسعى وتعمقى . وعندى أن « مركب أوديب » الذى يعد محور السيكوجية الفرويدية هو خطأ . ولكنه خطأ مثير [illegible] نبهنا ، كأنه دسيسة علمية تحركنا إلى البحث والتنقيب فى كهوف النفس المظلمة ، إلى قيمة السنين الأولى أيام الطفولة فى تكوين الشخصية . وقد وصفت أفكار فرويد بحق بأنها

« سيكلوجية الأعماق » ، وهى كذلك وإن كنا نختلف كثيراً عما نجد فى هذه الأعماق . ولولا فرويد لما كان هذا الجيش الذى يتألف من آلاف العلميين الذين يبحثون النفس البشرية فى جميع الأقطار المتمدنة . وقد جمعت بين فرويد وماركس وخرجت منهما بأزكى الثمرات . بل فطنت إلى أن ماركس هو السيكلوجى الأساسى ؛ لأنه يجعل وجدان الفرد ثمرة المجتمع .

وفى حياتنا العصرية لا يستطيع أحد أن يهمل التفكير العلمى ؛ لأن الحضارة الصناعية السائدة هى حضارة العلم . وقد دأبتُ فى دراسة العلوم التى تدور حول التطور أو الاقتصاد أو السيكلوجية أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة ، ولذلك أستطيع أن أتناول كتاباً عن الهورمونات ، أى مفرزات الغدد الصماء ، أو كتاباً عن الايكولوجية ، أى علاقة الحى بالبيئة ، أو كتاباً عن مشكلات الوراثة ، أو كتاباً عن جنون الشيزوفرنيا ، فاقرؤها جميعاً فى رغبة وفهم ولا أجد ذلك الصدود الذى يجده غيرى ممن لم يعنوا بالعلوم .

وكل هذه العلوم هى دراستى المستقلة ؛ لأن ما حضرته من محاضرات فى لندن لا يؤبه به . ومما آسف عليه أحياناً أنى لم أجد المرشد حوال ١٩٠٧ الذى كان يستطيع أن يعين لى منهجاً دراسيًا فى العلوم . ولكنى ، بعد التفكير ، أسائل : هل كان يكون أفضل لى لو أنى كنت انغمست فى دراسة علمية تجريبية معينة ؟ ألم تكن مثل هذه الدراسة مانعة بطبيعتها الاخصائية من ألوان أخرى من الثقافة الموسوعية التى أتمتع بها الآن؟ إنى لأكاد أعرف إخصائيًا فى علم ما ، نجح فى أن يكون موسوعيًا ينطلق فى سهولة ويسر إلى رياض الفلسفة والأدب والاجتماع ؛ مع أن كل هذه الميادين ، فضلا عن العلوم ، قد ألفتها وجلت ، بل نقبت ، فيها وفكرت فى تناسقها ، وسرت فيها بروح المتعلم الذى يربى نفسه فى بعد عن الاغترار والزهو . فاذا اعتبرت القيم ، قيم الحياة لا قيم التخصص الثقافى ، فانى أجد أنى نجحت فى تربية نفسى أكثر مما لو كنت قد تخصصت ؛ لأن المتخصص فى الجيولوجية أو البيولوجية أو الايكولوجية قلما يفكر فى دراسة أفلاطون أو قراءة الجاحظ أو دراسة الحضارة الفرعونية . ولكنى أنا بالاتجاه الموسوعى الذى اتجهته قد درست هذه العلوم ، فى غير تخصص ، ولكن مع الاستطلاع الدائم لغيرها من الثقافة ، حتى أنى أقدِّر ، مثلا ، عدد المؤلفات التى قرأتها عن حضارة الفراعنة بما لا يقل عن أربعين أو خمسين كتاباً . ولم أترك كلمة مطبوعة للجاحظ لم أقرأها .

ولذلك أستطيع أن أؤلف كتاباً عن جيته أو الاصلاح الزراعى فى مصر أو المسألة الهندية بأيسر عناء .

ولذلك يرى القارئ أنى درست ، لا للثقافة ، بل للحياة . وقد حملتنى دراستى العلمية على أن ألتفت كثيراً إلى المراحل البعيدة التى قطعتها العلوم المادية ، كالطب والهندسة والكيمياء والميكانيات والطبيعيات ، مع تأخر العلوم الاجتماعية ، التى حال دون التفكير الحر فيها وتغيير قواعدها ، تقاليد وشعائر وسنن وقوانين تعمل كلها لتجميد تطورنا الاجتماعى . فالاجتماع ، باعتباره علماً ، يعيش على مستوى التفكير فى ١٦٠٠ أو ١٧٠٠ ميلادية ، بل هو فى أقطار آسيا وأفريقيا يعيش على مستوى سنة ١٠٠٠ للميلاد ، فى حين أن الكيمياء أو الطب يسبقانه بنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة ، ولذلك نحن لا نعيش المعيشة العلمية فى بيوتنا ولا يسود حكوماتنا النظام العلمى . ولو أنه كانت هناك تقاليد وشعائر وسنن وقوانين للكيمياء مثلا ، كما للمجتمع ، لبقى هذا العلم على مستواه حين كان كل همّ الكيماوى أن يحيل الرصاص إلى ذهب . كما أننا لو استطعنا التخلص من تقاليدنا ومن الاستغراضات التى تخدم بعض الهيئات والطبقات لكان فى مقدورنا أن نرتفع بالاجتماع إلى مستوى العلوم التجريبية المادية .

ولهذا أيضاً نجد أن الطالب الذى يدرس الطب تقول له فى صراحة إن الذباب ينقل عدوى الرمد أو الدوسنطاريا ، أو إن لحم البقر الذى أصيب بالدرن تنتقل عدواه إلى آكله من البشر . ولكنا لا نقول لهؤلاء التلاميذ أو الطلبة إن الأجور المنخفضة التى يحصل عليها العمال فى مصر تفشى بينهم الدرن والعمى والموت ؛ لأننا نخشى هنا الاستغراضات الامتيازية والاحتكارية الاقتصادية .

ذات يوم فى ١٩١٨ كنت قاعداً فى الريف إلى قناة صغيرة فى ظل شجرة وإلى جنبى فلاح قد بلغ الثمانين ، وكنت أتأمل يرقات الضفادع وهى تسبح . فسألت الشيخ عنها فاتضح لى أنه لا يعرف أنها ضفادع صغيرة . ثم تشعب الحديث إلى النبات فقال : «إن لكل نبتة من هذا الأعشاب التى تنمو على شطوط القنوات ملكا يحرسها .» ولما نهضت أخذت أفكر فى هذه الرواسب الثقافية التى انحدرت إلينا عن الفراعنة والكلدانيين والبابليين ، وجعلتنا نعيش فى غيبيات تحملنا على النظر المخطئ لحقائق هذا العالم وتباعد بيننا وبين النظر العلمى

الموضوعى . وقلت فى نفسى : هذا الرجل غبىّ يؤمن بأن العالم حافل بالأرواح التى تحرس الناس والحيوان والنبات . إذن هو من خصوم داروين .

ولكن هذا الفلاح المسن يمثل فى سذاجته المركزة جهل الرجل العادى والمرأة العادية . وكلاهما يعيش بذهنه على رواسب قديمة من العقائد . حتى إن فكرة « القرينة » عند الفراعنة ، لا تزال حية فى أيامنا . أجل ! لقد ذكرت الآن ؛ فقد كنت طفلا لم أتجاوز السابعة أو السادسة ، وكنت قد غضبت وصرخت ورفست وأنا على العشاء . فقالت لى أمى تخيفنى : « دلوقت أختك ترعل منك وتضربك » .

وكانت تعنى بأختى هذه « قرينة » الفراعنة ، وقصدت إلى الفراش ونمت بلا عشاء . وإذا بى أحلم أن فتاة قد حضرت وهى تحمل سوطاً ترفعه فى الهواء كى تتحفز لضربى ، فصرخت فى النوم ، وأقبلت إلى أمى فى فزع فأيقظتنى وحضنتنى وجاءتنى بكوب من الماء شربت منه جرعة . ثم أخبرتها عن الحلم ، فأخذت تقبلنى وهى تبكى : «حقك على يا ابنى . أنا كنت بضحك . مفيش أخت . مفيش أخت!»

ولكن مجتمعنا لا يزال فى أسر هذه القرينة أو ما يشابهها من العقائد التى تتخذ أحياناً أسلوب البحث العلمى . كما نرى مثلا فى أولئك الذين يزعمون أنهم يستجلبون الأرواح فتنقر على المائدة وتتحدث عن العالم الثانى . . . وهذه العقائد تعيش كأنها كابوس للمجتمع تعمل على تجميده وتخويفه حتى لا يتطور . ودعاة الروح هؤلاء لا يختلفون عن تلك الأم الساذجة التى تقول عندما يعثر طفلها : « وقعت على أختك أحسن منك » تمدح الأخت وتسترضيها حتى لا تصيب طفلها بأذى . . .

وهذه القرينة أو هذه الأخت التى أفزعتنى فى نومى ، وهذه الملائكة التى تحرس النباتات عند ذلك الفلاح المسن ، هى ضباب العقل الذى يقشعه العلم . وقد انقشع أو كاد فى أمريكا وأوربا . ولكنه لا يزال يخيم علينا ؛ لأن الثقافة العلمية لا تزال بعيدة عنا لم تتنفس هواءها الصافى .

وهذه الثقافة العلمية هى ما أفتأ أرجو أن أجعلها أسلوبى فى الحياة الشخصية والاجتماعية . ولكن لم أخطئ قط ذلك الخطأ المألوف فأجعل العلم غاية إذ هو وسيلة فقط . أما الغاية فيعينها الأدب والفن والفلسفة ، أى إن غاية العلم هى الدين ، أى كيف نعيش فى مجتمعنا أصلح العيش وأروحه وأقصده وأشرفه .

وقد وضعت كتابي « نظرية التطور وأصل الانسان » ولي مأرب هو مكافحة الغيبيات الشائعة . ونشرته كله مقالات في البلاغ قبل طبعه كتاباً ، كي أصل إلى أكبر عدد من القراء . ومن الذكريات السعيدة أني وقفت ذات يوم إلى دكان صغير لا تزيد مساحته على ثلاثة أمتار أشتري لابني بعض الحلوى ، فعرفني البائع وأخبرني أنه قرأ كتابي هذا وفهمه .

ولو أني وجدت التشجيع لأرصدت حياتي لاخراج كتب شعبية مثل « نظرية التطور » و « العقل الباطن » ونحوهما . وكثيراً ما كنت أتحسر حين كنت أرى مؤلفات العقليين في لندن . فان كتاب « أصل الأنواع » الذي زلزل به داروين الثقافة الأوربية يباع بأقل من خمسة وعشرين مليما .

وحوالي ١٩٣٠ وجدت أنا والأستاذ فؤاد صروف الفرصة سانحة لايجاد حركة علمية شعبية في مصر . فعقدنا العزم على تأليف « المجمع المصري للثقافة العلمية » . وكانت الغاية منه أن يضم جميع المهتمين بالثقافة العلمية ونشرها بين الجمهور . ونجحنا في المشروع نجاحاً لم نكن ننتظره ، مما دل على أن المجمع أدى حاجة عضوية فسيولوجية في مجتمعنا . وعقدنا الاجتماع السنوي الأول له وألقيت فيه محاضرة سيكلوجية عن طبيعة التفكير في ضوء الأحلام في قاعة الجمعية الجغرافية . ولكني في ذلك الوقت كنت أمارس نشاطاً سياسيا مركزاً في مكافحة إسماعيل صدقي باشا حين ألغى الدستور واستبدل به غيره ،واتفق مع المستعمرين والمستبدين على إعادة الحكم التركي الشركسي الذي حاول عرابي أن يحطمه . وأدى نشاطي هذا في السياسة إلى طردي من المجمع .

وكان من حظنا السيئ أننا اخترنا معظم الأعضاء من الموظفين . ولذلك حين اختير حسين سري (باشا) رئيساً لاجتماعه الثاني أرسل إليّ خطاباً يفصلني من المجمع « مع الشكر » . وكان وقتئذ وكيلا لاحدى الوزارات ، فوافق جميع الأعضاء « الموظفين » ولم يشذ غير واحد ، غير موظف ، هو الأستاذ اسماعيل مظهر . وجاء في عقب طردي الصديق زكي أبو شادي يعتذر إلى بأنه لم يجرؤ على مخالفة « وكيل وزارة » ،ولذلك أعطى صوته ضدي ووافق على طردي ، على أنه يعرف أنه ليس من حق المجمع أن يفصلني لنشاطي السياسي . واتجه المجمع بعد ذلك وجهة إخصائية غير شعبية ، ولذلك لم ينتفع به الجمهور كثيراً .

وعندما أقارن بين الثقافة العلمية والثقافة الأدبية نجد أن القيمة العظمى

للأولى أنها تحريرية ؛ لأن التفكير العلمى يسير على نهج ارتقائى : هذا سيئ فيجب أن نبحث عن الحسن ، وهذا أحسن ولكن يجب أن ننشد أحسن منه بالاكتشاف والاختراع ، والتفكير الارتقائى هو بطبيعته تفكير علمى . وهو لم ينشأ فى أوربا إلا بعد أن اتجه الأوربيون وجهة علمية فى القرن السابع عشر . أما قبل ذلك فلم يكن هناك من يقول بأن الشعوب يجب أن ترتقى وتتغير ، وقد يردّ هنا على بأنه كان هناك طوبويون يتخيلون حالا سعيدة للبشر غير حالهم الحاضرة . ولكن الفكرة الارتقائية لم تنبت قط فى هذه التربة الطوبوية . وإنما نبتت من البذور العلمية .

والثقافة الأدبية ، إذا لم تجد الحافز من العلوم ، تركد . وقد كان هذا شأنها فى العصور الماضية . وسط زراعى راكد يعيش فى ثقافة أدبية راكدة محافظة . أما الآن فالعالم المتمدن يعيش فى وسط صناعى متحرك ، يعيش فى ثقافة علمية متحركة متغيرة .

ومن هنا قيمة التوجيه العلمى فى الثقافة العربية الحاضرة . بل يجب أن يرتفع هذا التوجيه إلى مقام الدعاية .

سلامة موسى